

الشعر العربي النيجيري ومقاومة الأخلاق الرذيلة

د. عبد الرفيع عبد الرحيم أسليجو

قسم اللغات، الجامعة الفيدرالية، كاشيري، ولاية غومبي، نيجيريا

Email: abdulrafiuasalejo@yahoo.com / abdulrafiuasalejo72@gmail.com

+2348030553349 / +2349073300812

Abstract

This paper sheds light on the Nigerian Arabic literary poetry that preaches against immorality. It is an analytical study of some sample poems of some Nigerian-Arabic literati in whose preaching against social vices such as adultery, immodesty, abasement and alcoholism is echoed. The paper examines linguistic and literary meaning of immorality, and how the Nigerian-Arabic literary scholars have expressed the religious prohibitions of these social vices in their works. The work equally literally analyzes these poetry and concludes that the activities of the Nigerian-Arabic literati showcase their Islamic proselytization through their literary works.

المخلص:

يعتبر الشعر لدى العلماء النيجيريين آلة قلمية أو لسانية يؤيدون بها الدعوة إلى الله من حيث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذلك لأنهم يعترفون بمهامهم على وجه هذه الأرض، وعلموا أنهم ورثة الأنبياء، والأنبياء ما ورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا الدعوة إلى الأخلاق الفضيلة والنهي عن رذائلها، ولأنهم فهموا قول الله تعالى في القرآن الكريم حيث يقول: "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (آل عمران، 104). ولأنهم أيضا يخافون عذاب الله ولعنته المتراتبين على الذين لا يتناهون عن منكر يفعلوه أهل بلدهم، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (المائدة، 78-79). ولذلك كان العلماء ما وهنوا وما استكانوا بل يقومون بتقديم المواعظ والنصائح لإخوانهم المسلمين بشتى الوسائل التي منها الشعر. والباحث في هذه الورقة- يسلط الضوء على مدى جهود علماء نيجيريا في الأشعار التي تقاوم الرذائل، وتنهى عن المنكر، ويأتي ببعض نماذج من الأشعار الناهية عن الزنا والرياء والإفراط والتحجير، وشرب الخمر وغيرها مما أدلى العلماء بدلوهم في دلائله، كما قام بتحليل

هذه الأبيات النموذجية تحليلاً يوضح معانيها ومغازيها. وسيقوم الباحث بمعالجة هذا الموضوع على حسب المحور الآتي:

التعريف اللغوي والاصطلاحي لكلمة الرذائل
علماء نيجيريا ومقاومة الفساد والرذائل
مقاومة جماح الملوك والحكومة في شعر علماء نيجيريا
مقاومة الزنا في شعر علماء نيجيريا
مقاومة الرياء والإفراط في شعر علماء نيجيريا
مقاومة التحقير في شعر علماء نيجيريا
مقاومة شرب الخمر في شعر علماء نيجيريا
الخاتمة.

التعريف اللغوي والاصطلاحي لكلمة الرذائل

الرذائل: جمع الرذيلة، وهي ما كان ساقطاً خسيئاً من الأعمال ، وعكسها فضيلة :-
تنتشر الرذيلة حين تعمّ الفوضى ، - تردى فلانٌ في الرذيلة. وهي سلوك إجرامي كالبغيء
أو الاتجار بالصور المُخلّة بالآداب ، والمقامرة والمخدرات وغيرها والتي تسيء إلى المعايير
الخلقية والاجتماعية⁴.

وذكر علماء الأخلاق بأن الرذيلة هي «إما إفراط أو تفريط والفضيلة وسط بين رذيلتين.
ولتقريب المعنى نذكر الشجاعة وهي مثال للفضيلة فإذا أفرط المرء فيها كان التهور وهو
رذيلة، وإذا فرط فيها كان الخوف وهو رذيلة. ويمكن القول بأن الفضيلة هي الوسط
الذي يقع بين طرفين فلو كان الخلق خطأ مستقيماً كان الطرف الأول رذيلة والوسط
فضيلة والطرف الآخر رذيلة⁵.



علماء نيجيريا ومقاومة الفساد والرذائل

لقد أكثر علماء نيجيريا-قديماً وحديثاً- قول الأشعار الداعية إلى مكارم
الأخلاق والمقاومة لرذائلها منذ أن فتح الله عيونهم على تعلم اللغة العربية والتأليف
فيها، ذلك لأنهم تعلموا العربية لا لشيء إلا للتعلم في معرفة تعاليم الإسلام من
عبادات ومعاملات، ولا شك أن المحور الأساسي الذي يدور عليه الدعوة الإسلامية هو
الدعوة إلى الأخلاق النبيلة والنهي عن الرذيلة، بل لأجلها بُعث النبي صلى الله عليه
وسلم، ونجد ذلك واضحاً في الآية القرآنية القائلة: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ

يَتْلُوا عَلِيمٌ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
٢ (سورة الجمعة، 2) وقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك بقوله: "إنما بعثت
لأنتم مكارم الأخلاق"⁶. وإذا كان العلماء هم ورثة الأنبياء فلا غرو أن نراهم يكثرون
الدعوة إلى الأخلاق بكل وسيلة ممكنة؛ من قول أو فعل، أو كتابة نثرا وشعرا، فلذلك
يوجد من العلماء النيجيريين الذين ينشرون الأخلاق النبيلة وينهون عن الفساد
بالأشعار العربية، والآخرين منهم بالأشعار الشعبية اليوربوية (واكا) ولا سيما في
مجالسهم الوعظية. وسيأتي الباحث بنماذج طفيفة للشعر الشعبي الناهي عن رذائل
الأخلاق قبل تفصيل البيان في الأشعار العربية.

فهذا الشيخ آدم عبد الله الإلوري ينهي عن التفرقة بشعره الشعبي اليوربوي:

Orin kaa jokan lawan ko

Emon je ka ya lotooto

Orin kaa jokan lawan ko⁷

فأشعارنا إلى الاتحاد تدعو

فلا نتفرقن في الدين

فإلى الاتحاد تدعو أشعارنا

وقال الشيخ الشاذلي ثنبو في وعظه:

Eyin odo ninu esin

Edakun Eberu Oluwa

Eman ma je Islamu yi oreyin

Giga esin yi latowo yin ni⁸

أيا شباب الإسلام

بالله اتقوا الله

فلا تجذبوا الإسلام إلى التقهقر بأيديكم

لأن تقدم الإسلام منوط بأعناقكم

والشيخ داؤد ألمانا أيضا لم يكن في معزل من قول الأشعار الشعبية الناهي عن

الفساد، واسمعه قائلا:

Allah Allah Allah Allah Allah Allah Allah

Ema paro Emon Jale Esi man se muti

Tori olohun la fin bebe

Ejowo eman sagbere edakun.

Eni paro eni jale to si tun se sina,

Iya Olohun n be ni koro ton duro de won⁹

الله الله الله الله الله

لا تكذبوا ولا تسرقوا ولا تشربوا الخمر

نسألکم بالله ولا تزنوا

فالكاذب والسارق والزاني

لا شك أن عذاب الله بالمرصد ينتظرهم

أولاً: مقاومة الزنا في شعر علماء نيجيريا

التعريف بالزنا:

الزنا لغة: مادة من زنى يَزنِي ، أزنِي ، زَنَى وَزِنَاءً ، فهو زَانٍ والجمع : زُنَاءٌ وهي زانية والجمع : زَوَانٍ ، والمفعول مزنيّ به، يقال: زَنَى الشَّخْصُ / زنى الشَّخْصُ بالمرأة : فجر في علاقة الجنس وأتى المرأة من غير عقد شرعي¹⁰.

وأما في الاصطلاح: فله معنيان، العام والخاص.

أما المعنى العام: فهو ارتكاب ما حرم الله تعالى من نظر أو لمس أو غير ذلك، وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، العينان: زناهما النظر، والأذنان: زناهما الاستماع، واللسان: زناه الكلام، واليد: زناها البطش، والرجل: زناها الخطأ، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه¹¹.

وأما المعنى الخاص: فهو إدخال الحشفة عمداً في فرج آدمي من غير زواج، ولا ملك، ولا شبهة. وغالب استعمال الفقهاء هو لهذا المعنى، وهذا النوع من الزنا هو الذي يوجب الحد¹².

عرض القصيدة:

إن الزنا عار بكل وسيلة ** حرم الجميع وكان عين جريمة

لا تزن بالكف ولا بالعين قد ** يزني امرؤ بهما فخذ بنصيحتي

ودع التلذذ بالحديث وجالسا ** مع زوج غيرك عاب ذاك شريعتي

وكذا الخلو بها بلا ذي محرم ** نوع يعد من الزنا الممنوعة

والعار كل العار في إكرامها ** بنداء أكل فهو سوء وسيلة

والذنب كل الذنب في أن تدخلن ** بامرأة غيرك وهي عين كبيرة

تجزى عليها النار خف من مثلها ** لا تقربن الزنا كفاك وصيتي¹³

تحليل القصيدة:

بدأ الشاعر بإصدار حكم الزنا بأنه حرام وأنه عين الجريمة، ثم بدأ ببيان وسائل الزنا، وأنه يبدأ من اللمس بالكف، والنظر بالعين، وبالاستمتاع بالكلام والمجالسة مع امرأة أجنبية أو الانفراد معها في دار بدون ذي محرم، وأكبر هذه الوسائل جريمة وإثما هو الدخول بالمرأة الأجنبية، وأعقب كلامه بالقول أن الزاني - إن لم يتب في الدنيا- سوف يمارس النار الحامية يوم القيامة.

مما لاحظنا في القصيدة أنه بدأ القصيدة بالجملة الخبرية حيث يخبر أن الزنا عار، ثم مباشرة أردفه بالجملة الإنشائية حيث ينهى ويأمر في آن واحد فقال لا تزن ثم قال "ودع التلذذ" وهذا النهي والأمر للتوبيخ. وفي الختام أعقب كلامه بأسلوب القرآن حيث يقول "لا تقربن الزنا" امثالاً بالقرآن حيث يقول: "ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً" (الإسراء، 32)، وذلك هو الاقتباس من القرآن ولو بتصرف.

ثانياً: النهي عن الرياء والإفراط

التعريف بالرياء والإفراط

الرياء لغة: مصدر من راءى يُرأى ، راء ، رياءً ورياءً ومُراءاةً ، فهو مُراءٍ ، والمفعول مُراءى راءى رَفِيقَهُ : شَاوَرَهُ راءى النَّاسَ: نَافَقَ، أَظْهَرَ أَمَامَهُمْ خِلافَ ما هو عليه. رَءَاهُ مُرَاعَاةً ، ورياءً، ورياء: أَرَاهُ أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِالْخَيْرِ وَالصَّالِحِ عَلَى خِلافِ ما هو عليه. رَءَاهُ فَلانٌ فلانا: قابله فراه¹⁴.

وقد حذرنا الله تعالى عن الرياء في آيات متعددة في القرآن الكريم حيث يقول: "يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا" النساء آية 142، وفي قوله: "الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۖ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ" وفي الحديث أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ"¹⁵. والإفراط: مصدر أفرط / أفرط على يُفرط، إفراطاً، فهو مُفرط، والمفعول مُفرط- للمتعدي، أفرط الشَّخصُ: أسرف، جاوز الحدَّ في قول أو فعل¹⁶.

عرض القصيدة:

فمن لي بأعلى الصّوت يعلو إلى السّما	وإن لم يطبق صوته كلّ حارة؟
بأنّا لهذا العصر أهل مأسف	تقمص أهل السّوء ثوب الصّفاوة
إذا العالم الدّاعي إلى الله قصده	من الناس تكريم ولو بالإمارة
إذا كلّ شيخ بالولاية يدّعي	إذا كلّ داع يدّعي بالرّئاسة
إذا العالمون الواعظون تشابهوا	علينا فما ندري أخي ذا العدالة

إذا ما اشتهرنا بالمذاهب عندنا
 إذا ما يباهى أحدنا وهو يدعي
 ألا يا رجال الدين صبراً بدينكم
 ألا يا رجال الدين هاذى خسارة
 أليس من الخسران في الدين قومنا
 ترى من يقود الناس دون بصيرة
 ومنبع هذا الانحراف حقيقة
 وأكبر ما يبكيك إن كنت واعياً
 إذا ما تراهم تنكر السوء فهم
 تراهم لباس الأتقياء لباسهم
 وأي من الأعلام يؤمن شره
 وهم إن أسأؤوا الفعل في الدين إثمهم
 متى تنتهي كنا نركى نفوسنا؟
 سلام على الدنيا إذا جاءنا بها
 وصارت بقاع الوعظ محوى الفكاهة
 أنا القطب فأتوني لنيل الكرامة
 ألا إنما الإسلام دين الثقافة
 أحاطت بهذا الدين في كل قارة
 إذا ما ادعى العميان شأن القيادة
 وما ذاك في الإسلام إلا الضلالة
 ألا وهم الأعلام أهل الصبابة
 ترى أنهم للمال أهل الصبابة
 ولكمهم والله أهل الإساءة
 ألا إثمهم ليسوا بأهل المخافة
 ويرجى إذا ما اختل أمر الديانة
 يقولون جهلاً نحن أهل الجلالة
 وكنا رعاة الدين عن كل آفة
 غيبي يباهى أنه ذو الحصافة¹⁷

تحليل القصيدة:

هي قصيدة عبد اللطيف سعيد أولومي، وقد قام فيها بتصوير إفراط أدعياء التصوف وغلوهم وشطحاتهم التي تردي العوام، كادعاء الولاية والقطبانية العظمى، وجعل مجالس الوعظ والإرشاد ملعب للهو واللعب، فدعا العلماء المخلصين إلى القيام لدرئ هذه المفاسد في المجتمع الإسلامي.

بدأ الشاعر قصيده بإعلاء صوته ونداء غيره من أهل الصلاح أن يضموا أصواتهم إلى صوته حتى يبلغ النداء أبعد المدى، ويقول بأننا في هذا العصر نعيش في الأسف والحزن لأن الضعفاء من الجهلاء هم الذين يدعون العلم والتقدم والإمامة، والذين تتمنى منهم الإنصاف قد أصبحوا اليوم في ضلال مبين، لأنهم يميلون إلى حب الرئاسة والولاية، والعلماء الواعظون الذين نرجو أن ينقذوا هؤلاء من ويلاتهم هم أيضاً قد اشتبهوا وتلبسوا علينا إذ ترى هذا يباهي بمذهبه وذلك يدعو إلى طريقته ويهاجم هذا على هذا ويكفر ذلك، ويقول هذا أنا غوث الورى ويرد عليه ذلك أنا قطب مما يجعل الأتباع في عيص بيص، ويوقع الناس في الحيرة والشبهة. ثم نادى بأعلى صوته جميع رجال الدين بأن يصبروا ويسيروا على منهج القرآن والسنة النبوية.

واستطرد قائلاً: أليس من الخسران أن يضرب الأعمى بيده على صدره مصمماً أنه يستطيع قيادة العالم!، ثم شرع في ذكر السبب الداعي إلى هذه الانحرافات بأنه أساساً هو حب المال، فكلهم يحبون المال حبا جما ويروجون مذاهبهم بكل وسيلة؛ بلباس الثياب الفاخرة والعمامة الكبيرة والسبحات المتلألأة والأصوات الجذابة وقرض الأشعار والرقص في منبر الوعظ والإرشاد، فكل ذلك مما يدمع عيون الأذكياء الأتقياء ويفرح الأذعياء الأغبياء، وأعقب كلامه بقوله: سلام على الدنيا أي وداعا للدنيا إذا لم نجد العلماء المنصفين الذين يقومون برعايتها. فما أنسب قصيدته هذه بقول ناصف اليازجي حيث يقول:

مضت دول العلوم الزهر قدما ** وقامت دولة الصفر الرقاق
وأصبح يدعي بالسبق جهلاً ** زعانف يعجزون عن اللحاق
إذا هلكت رجال الحي أضحي ** صبي القوم يحلف بالطلاق¹⁸

ثالثاً: النهي عن التحقير

التعريف بكلمة التحقير

التحقير في اللغة العربية: مادة من حَقَّرَ يَحْقِرُ، تحقيراً، فهو محقِّرٌ، والمفعول محقَّرٌ: حَقَّرَ الشَّيْءَ بالغ في الاستهانة به واحتقاره -: حَقَّرُوا من خرج على تقاليد¹⁹. وفي الاصطلاح: هو إهانة الآخرين والانتقاص منهم، والاستعلاء عليهم، والخوض في أعراضهم، وكل ذلك ظلمات فوق ظلمات، وحُرُمات فوق حُرُمات، وقد حذر منها الرسول صلى الله عليه وسلم تحذيراً شديداً.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ²⁰.

نص القصيدة:

يا صديقا جفا بغير اعتذار ** لي كلام إليك مثل الشرار
إن تماديت في لجاجك ظنا ** منك أن العقول فعل الخيار
وتوهمت إن مثلك طود ** في علوم والناس كالأغوار
فأفيقي من السبات إلى الدن ** يا أفيقي يا دولة الخوار²¹

تحليل الأبيات:

يقول الشاعر أحسن الله إليه:

يا حبيبا مخالقي الناس بسبي الأخلاق بدون استعفاء منهم من الجفاء خذ مني
وصية من وصايا الخير بيد أنها تؤلمك مثل شرار الحريق لمن حوله من الناس، وهي إن
تستمر بحالتك هذه، تمج أقوال الناس كموج البحر مصرا أنها من أفعال الخير المطلوبة
من الأحرار.

وتخيّلت بأنك طود شرفا وجاها وعظمة من الكبر بمالك من قليلات العلم
وذرات الإدراك، وبقية الناس كمخفض الأرض أو أقصى قعرها جهلا وذلا فأرجع عن
هذه الغفلة والنوم إلى اليقظة والبصيرة سريعا عاجلا قبل فوات الأوان يا صاحب
الفوضى كأصوات السنانير.

ومن ملاحظتنا لهذه القصيدة ما يأتي:

- 1- بدأ الشاعر وصيته بالنداء نكرة غير مقصودة لعموم الفائدة لكل من تلبس بتلك
الحالة، بقوله (يا صديقا) الذي يسيئ إلى الناس بأنواع من العديان وقيدته بقوله
(بغير اعتذار) استثناءً عن الذي أتى منه خطأ في حالة الغضب أو الخصومة أو
الضيق من دون عمد ولا مخيلة، فأشار إلى وصيته بقوله (لي كلام) ولانشغاله
بعنايته عليها واهتمامه بها، حدث منه التقديم والتأخير في شبه الجملة ثم
الاختصاص بالمخاطب دون من سواه من الناس في تلك الحالة بقوله (إليك)
ووصف وصيته موقعا حسب المخاطب بالشرار، لأن حقيقة الأمر تحتاج إلى
مصارحة القول، لأن الضال المضل لا يسمع إلى قول الهادي المرشد بالسّهولة
والقول الغليظ مناسب لغليظ القلب.
- 2- يعد الانتباه بدأ الشاعر ببيان حالة المخاطب وموقعه في الجفاء شرطا أنه ما دام
يستمر في أقواله القبيحة للناس تظن أنك في وجه الخير لما أنت تفعله ومضمون
هذا البيت في قوله تعالى: "الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
أنهم يحسنون صنعا" (الكهف: 104).
- 3- ثم بعد ذلك يبيّن ما صور له خياله في قمة الكبرياء بقوله (وتوهمت) والوهم
هذا أشيع من الظن المكور لما فيه من الخيال لذلك أكد صورته بالتوكيد
والجملة الاسمية والتقييد بقوله (إن مثلك طود في علوم) والكناية في تلك
الصورة أبلغ كبرياء وفيه الطباق بقوله (والناس كالأغوار).
- 4- ثم أتى بالزجر عن تلك الحالة بالأسلوب الإنشائي بقوله (فأفريقي من السبات)
والتوجيه إلى ما يليق به بقوله (إلى الدنيا) والمراد حقيقة الأمر الظاهر النافع

وفيه الطباق بين قوله (السبات) و(الدنيا) كالنومة واليقظة، الذي يأتي منه الأشرار كالميت في موقع الإعدام والذي يأتي منه الخيار كالحى في موقع النفع والذكر، ثم أطنب الزحر بتكرير قوله (أفيقي) واستهزائه بتحقيق منزلته في الفوضى بقوله (يا دولة الخوار) لأنه ليس تحت أفعاله هذه طائفة ولا يأتي منه مثقال حبة من الثمرة لنفسه سوى الضغينة والضير.

رابعاً: النهي عن شرب الخمر

التعريف بالخمر

الخَمْرُ لغة: ما أسكر من الشراب وعصير العنب ونحوه ؛ لأنها تغطّي العقلَ وهي مؤنثة وقد تذكّر²².

فشرب الخمر كبيرة من الكبائر، يجب البعد عنها واجتنابها، لقول الله جل وعلا (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون). المائدة: 90-91. وقد جاء في ذم شارب الخمر وعقابه أحاديث كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: "كل مسكر حرام، وإن على الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال". قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار أو عصارة أهل النار. "أخرجه مسلم والنسائي"²³. ولا تقبل صلاته أربعين صباحاً، لقوله صلى الله عليه وسلم. "من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه. فإن عاد لم يقبل الله صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه. فإن عاد في الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال"²⁴ أي: صديد أهل النار.

عرض الأبيات:

شرب الخمر لدى الإسلام محروم ** وعند كل كريم الأصل معلوم
يا شارب الخمر ألق القدح في خجل ** فأنت في هذه الأيام مكلوم
إذا تعاطيتها من بعد ما منعوا ** أحبابها شرها فليات تأثيم
ماذا يغرك فيها أيها الوغد ** لأنت في نظر الأخلاق مشؤوم
الخمر مفرطة الإفشاء في بلدي ** وفيه علم وإيمان وتكريم
الخمر رجس وعصيان ومنقصة ** وكل شيء أخي في الخمر مكتوم

ولا تصلوا على السكران بيــــنكم ** إن مات فهو لدى الرحمن محروم²⁵

تحليل الأبيات:

يقول الشاعر:

إن شرب الخمر في شريعة الإسلام أي من الله سبحانه وتعالى محروم، وهذا أمر طبيعي لا ينكره عقل كل حر ذي الأخلاق الفاضلة من منبت الحسن لما يحدث عقب شربه، فإما الشارب أترك ما بيدك من بقية كأس حاليًا استحياءً عما يحدث لك من الأخلاق الرذيلة الفضيحة عقب شربه، فضلًا أنه ينقصك ماديًا ومعنويًا مهمًا طالت الأيام، وأنت في هذه الحالة على سبيل الالتزام، ثم تفكر أن الخمر تجاوزت الحد في نشر الفساد في بلدي مع أنه مملوء بالعلم والإيمان وتكريم الخلق الذي هو أعلى من الأخلاق الفاضلة المحمودة، والخمر أصل كل فعل قبيح، وجذر كل معصية، مع أنها ينقص المرء من صحّة البدن، ونقص الأموال، وحقيقة يبعده عن الأخلاق المحمودة، وكل فساد مستور في شرب الخمر يحدث لشاربه عقب شربه، شيئًا فشيئًا حتى يبلغ أقصى مسرى الفساد والعياذ بالله.

ونلاحظ في القصيدة الأفكار الآتية:

1- بيّن الشاعر موقع حكم شرب الخمر في شريعة الإسلام بأنها حرام وفي طبيعة الإنسان الحرّ هذا الحكم مناسب لكل ذي عقل سليم لأنه يهتم بكل ما يأتيه الفضل بين المجتمع وهلا يقرب من العكس، لذلك أكد الشاعر حكم شرب الخمر بأنه معلوم كل ذي عقل سليم، وإن لم يكن مسلمًا. وفي الكلام زيادة الإيضاح لمقتضى حال المخاطب لنفي التردد.

2- ثم وجّه الكلام إلى شارب الخمر بأسلوب الإنشاء زجرًا واستحقارًا بقوله "ألق القدرح" بعد ما خصّصه بالنداء وأكد استحقاره بقوله "في خجل"، ولكل شيء علّة وسبب ليعلم ما عليه وماله من الأمر، لفت الشاعر نظر مخاطبه إلى علّة زجره عن شرب الخمر بقوله "فأنت في هذه الأيام مكلوم"، أتى الشاعر بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب ليعلم المخاطب أن جزاء شربه يأتي مباشرة عقب شربه من نقصان ماديًا ومعنويًا وذلك الجرح ما يعني بقوله "مكلوم".

3- يواصل الشاعر الشريف في بيان تحديد هذا الأمر كونه مشهورًا بين شعوب المجتمع لا يختص غير المسلمين فقط بل كلهم مشتركون فيه، لا ينتفع غير المسلمين من المسلمين، والمسلمون من طيب أصلهم وحسن جذرهم، إذ أنهم لا يعلمون بشريعة دينهم ولا يباليون بتشديد مباني كرامة أجدادهم بتاتا فأتى بتعجب من أمرهم واستهزاء حدّثهم بقوله "وفيه علم وإيمان وتكريم" وهذا يناسب قوله تعالى في سورة مريم:

"فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا"
(سورة مريم: 58) والعياذ بالله، اللهم اجعلنا خير خلف لخير سلف. وفي هذا الأسلوب
الخيرى مبالغة البيان لما فيه من الاستعارة.

الخاتمة

قام هذا البحث بعرض أربع قصائد من أشعار بعض الشعراء اليوروبوين والتي قيلت
في النهي عن الأخلاق الرذيلة التي يجب التنفير عنها كشرب الخمر والزنا والرياء وتحقير
الغير والإفراط. استطاع الباحث عن يعرف هذه الأخلاق تعريفا لغويا واصطلاحيا ثم
بيان ما لهذه الأخلاق من الآثار السلبية في المجتمع إذا لم يقلع جذورها بالزجر شعرا
ونثرا، وبين مضامين هذه القصائد ومغازيها باستخدام الآيات والأحاديث المناسبة
للقصيدة والإشارة إلى الآيات الأخرى المؤيدة لها، وقام الباحث أيضا بدراسة هذه
الآبيات دراسة تحليلية أدبية مما يكشف عن جمال القصائد ومناسبتها لما استدلت بها.
ومما توصل إليه هذا البحث من النتائج هو أن معظم الشعر العربي في بلاد يوربا
مملوء بتعليم الأخلاق الفاضلة والنهي عن الرذائل حتى وإن قيلت في الأغراض الأخرى
غير الأخلاقية.

الهوامش

- 1- منتديات ألوكة (10/7/2016) <http://www.alukah.net/literature>
- 2- الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، عن مؤسسة الرسالة
بيروت سنة 1988، ص: 903
- 3- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، تحقيق: عبدالله
علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، نشر دار المعارف
بالقاهرة، مادة نهي.
- 4- منتديات المعاني (15/7/2016) <http://www.almaany.com>
- 5- منتديات واحة القطيف (15/7/2016) <http://www.qatifoasis.com>
- 6- (موقع الدعوة، 30/7/2016، www.wdawah.com)
- 7- الشيخ آدم عبد الله الإلوري، في بعض شرائط وعظه
- 8- الشيخ شاذلي ثنبو أوغانجا، بعض شرائط وعظه
- 9- الشيخ داؤد عبد المجيد أليخا، بعض شرائط وعظه
- 10- منتديات المعاني (15/7/2016) <http://www.almaany.com>
- 11- www.ahram.org.eg (23/6/2015)

-
- 12- المرجع نفسه
- 13- يسألونك، 2013م، ص34
- 14- منتديات المعاني (15/7/2016) <http://www.almaany.com>
- 15- ملتقى أهل الحديث (20/8/2016) www.ahlalhadeeth.com
- 16- منتديات المعاني (15/7/2016) <http://www.almaany.com>
- 17- عبد اللطيف، 2004م، ص 24
- 18- الإلوري آدم عبد الله، المقطوعات الأدبية، (غير مؤرخ) مطبعة الثقافة العربية أغيني، ص 3
- 19- منتديات المعاني (15/7/2016) <http://www.almaany.com>
- 20- (23/6/2015) www.ahram.org.eg
- 21- عبد اللطيف، 2004م، ص 27
- 22- منتديات المعاني (15/7/2016) <http://www.almaany.com>
- 23- (2/6/2015) www.fatwa.islamweb.net
- 24- المرجع نفسه
- 25- عيسى أبي أوبكر: 2005م، ص101.